**نعمة الأمن**

**عبداللطيف بن عبدالله التويجري**

**الخطبة الأولى:**

روى الإمام ابن جرير وغيره بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان آدم -عليه السلام- لا يُولد له مولود إلا جاء معه توأمه، فحواء لا تلد غلامًا إلا تلد معه جارية في كل بطن وحمل تحمله، وحكمة الله قد قضت على آدم -عليه السلام- أن يزوّج أبناءه ببناته حتى لا ينقطع النسل البشري.

 فكان آدم -عليه السلام- إذا أراد تزويج أحد أبنائه بإحدى بناته، فإنه ينظر -عليه السلام- ثم يزوّج ابن كل بطن بإحدى بنات البطن الآخر، ويزوّج غلام كل حمل لجارية الحمل الآخر، حتى وُلد له ابنان يقال لهما قابيل وهابيل، وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت وهي توأمه هي أحسن من أخت هابيل، فطلب هابيل أن ينكح أخت قابيل، فأبى عليه، وقال: بل هي أختي وُلدت معي، وهي أحسن من أختك.

فأمر آدم -عليه السلام- قابيل أن يزوّجه أخته، فأبى قابيل على أبيه مرة أخرى، فقال آدم -عليه السلام- لابنيه: فقرّبا قرباناً حتى تقر عيني, إذا تُقبل قربانكما، فقرّبا، وكان هابيل صاحب غنم فقدم جزعة سمينة، وهي أحسن غنمه وأطيبها, وكان قابيل صاحب زرع فقدم حزمة سنبلة رديئة، فانطلق آدم معهما ومعهما قربانهما, فصعدا الجبل, ووضعا قربانهما، ثم جلس ثلاثتهم ينظرون إلى القربان، وكان من دلائل قبول القربان المقدَّم أن تأكله النار، فبعث الله نارًا حارقة إلى قربان هابيل فأكلته كله، ولم تأكل من قربان قابيل، وعلم آدم -عليه السلام- أن قابيل مسخوط عليه.

فقال: ويلك يا قابيل! لقد رُدَّ عليك قربانك؟! فقال قابيل لأبيه آدم -عليه السلام-: أحببته فصلّيت على قربانه، ودعوت له فتُقبل منه، ورُد عليَّ قرباني؛ هذا ما فعلته، ثم أطلق قابيل بعدها التهديد الأول للجنس البشري تهديدًا خلّد القرآن فيه رسمه، وطواه زمنًا بعد زمن: يا هابيل! والله لأقتلنك حتى لا تنكح أختي!!

**وانتفض الحق وشرعته**

**واشتدت للباطل وطئته**

**وصار التهديد على رجل**

**وابتدأت منه محنته**

**تهديد ماج على أرض**

**ودماء الأمة حمرته**

**وتفور دماء ودماء**

**وعلى ابن أبينا بدعته**

قابيل يتوعد هابيل يومًا بعد يوم، إلى أن احتبس هابيل ذات عشية في غنمه، فقال آدم: يا قابيل أين أخوك؟ قال: وبعثتني له راعيًا؟ لا أدري. فقال [له] آدم: ويلك يا قابيل. انطلق فاطلب أخاك. فقال قابيل في نفسه: الليلة أقتله. وأخذ معه حديدة فاستقبله وهو منقلب، فقال: يا هابيل تقبل قربانك، ورد عليّ قرباني، والله لأقتلنك.

فقال هابيل: قرّبت أطيب مالي، وقربّت أنت أخبث مالك، وإن الله لا يقبل إلا الطيب، إنما يتقبل الله من المتقين، فلما قالها غضب قابيل، فرفع الحديدة وضربه بها، فقال: ويلك يا قابيل أين أنت من الله؟ كيف يجزيك بعملك؟

قال ابن عباس: وخوّفه من النار فلم ينتهِ، ولم ينزجر، ثم رفع الحديدة فقتله فطرحه في حفرةً من الأرض، ثم حثا عليه شيئًا من التراب! **وهنا بدأت أول فصول مسرحيةٍ أذن الله ألا تنتهي إلا يوم يقوم الناس لرب العالمين.**

هنا بدأت أول جريمة اختلال أمن في التاريخ، يا ويل قابيل كل دم يأتي يوم القيامة تثبت رائحته في رقاب الظالمين، يُسأل عنها قابيل، وكل رأس مفصول عن جسده، ورقبة متدلية، ودم يصرخ في وجوه الظالمين، يُسأل عنها قابيل، وكل اهتزازة أمن في الأوطان ودماء خاضت فيها السكان، والرعب يمشي في الطرقات، يكشر للماشين عن الحقد والأضغان تراها في الأكفان، وعذابات السارين على النيران، يُسأل عنها قابيل!!

ولأجل ماذا؟ ألشهوة نازية ولحظة مستعرة، قاتل الله الشهوات الموقوتة كقنابل لا يدرى عنها ومتى في وجه الماشي تنفجر.

 والتاريخ –والله- يسجّل كيف أن قابيل أودت به سكراته إلى قتل أخيه، والمساهمة في قتل ملايين من الضحايا،  قال الله –تعالى-: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا).

ويقول عليه الصلاة والسلام: "**لا تُقتلُ نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأولى كفلٌ منها؛ لأنه أول مَن سنَّ القتل**". متفق على صحته.

كم عدد الذين قُتلوا ظلمًا على أيدي السفاحين والظالمين في العالم منذ عهد آدم -عليه السلام- إلى يومنا هذا، ممن لا يحصيهم إلا الله -عز وجل-؟! أن تثور حمامات الدم من قلوب المؤمنين من أجل نعرة اختلاف، أو نزعة خلاف، فهذا ليس قدرًا يسيرًا في موازين السماء ولا موازين الأرض، ولذا فاحفظوا هذا الرقم القياسي، أول جريمة فُعلت في الأرض هي القتل، وأول اعتداء في التاريخ لم يكن بين مؤمن وكافر أو بين كافر وكافر، بل بين مؤمن ومؤمن.

كانت جريمة قتل كبرى كان جزاؤها أن كل قاتل نفس ظلمًا فكأنما قتل الناس جميعًا، أجل فهذه الدماء المؤمنة ليس رخيصة في مواثيق السماء لا عند الله ولا عند رسول الله، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يشتد في تشديد حرمتها في أكبر تجمع جماهيري لسماع أشهر خطبة تُلقى في التاريخ.

وكلماتها تتزلزل من هذا الميثاق حين يقول: **"إن دمائكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا"،** وهو يختمها ليقول لهذه الجموع الكبيرة: "اللهم قد بلّغت؟ اللهم فاشهد".

ما كانت رخيصة عند الله، ولا عند رسول الله والنبي -عليه الصلاة والسلام- يطلق الوعيد الصارخ لخارقي المواثيق في كل مكان حين يقول عنهم: "لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل رجل مسلم واحد لأكبّهم الله جميعًا على وجوههم في النار" (رواه الترمذي وغيره).

كل شيء يمكن أن تساوم عليه، أو تفاوض حوله، أو تماري فيه إلا مسألة الدماء المؤمنة، أن تُراق بغير حق ولا برهان، لا أعرفُ معصية تَمَارى فيها أهل السنة والجماعة في توبة فاعلها، مثل قتل النفس المعصومة، كل معصية يمكن التوبة منها حتى الشرك بالله والكفر به، وقد أجمع أهل الإسلام على ذلك، وحين تأتي مسألة سفك الدم الحرام، فإنه ينخرم الإجماع!

حتى إن الإمام مالك -رحمه الله- حين سُئل عن قاتل العمد ظلمًا هل له من توبة؟ فقال الإمام مالك: "مُروه أن يُكثر من شرب الماء البارد"، وهو يريد -رحمه الله- أنه سيكون في النار خالدا مخلدا فيها لن يذوق فيها بردا وشرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا.

**أخي الكريم!** قلب بصرك معي، ما أكثر السامعين بالأمن ولم يروه، اسمع لأبيك إبراهيم -عليه السلام- وهو يلقيها على الوادي السحيق في أول دعوة سجّلها كتاب الله له في موضعين: (رَبِّ اجْعَلْ هََذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)، فبدأ بالأمن قبل الرزق، فلا قيمة لرزق دونها، ولا صحة ولا مال، ولا ثروة ولا طعام، ولا بيت ولا فرحة ولا هناء دونها.

 كلما ذُكر الأمن ذُكر معه الظلم والظالمون في ازدواجية خاطئة منحرفة، من هذا الذي ألقى في روعنا وعلمنا أن الكلام عن الأمن في الأوطان هو السكوت عن الظلم والظالمين، وأن مجرد الحديث عن الأمن هو مباركة وتصفيق للبغي والباغين.

اللهم إنا نبرأ إليك من كل باغٍ وظالم، وطغيان وطاغوت، ولكننا نسألك أن تحفظ علينا أمننا وديننا ووطننا، (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ).

**اللهم هل بلغت .. اللهم فاشهد..!**

**الخطبة الثانية:**

 أما بعد: روي أن صالح الدمشقي قال لابنه يوصيه: "يا بني، إذا مر بك يوم وليلة قد سلم فيها دينك، وجسمك، ومالك، وعيالك، فأكثر الشكر لله –تعالى-، فكم من مسلوب دينه، ومنزوع ملكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم، وأنت في عافية".

**أيها الكرام!** أول ركن تستقر به الأوطان هو الإيمان، فلا أمان بلا إيمان، الأمن المؤقت ليس هو الأمن الدائم، كل هذه المجتمعات القوية إنما استولت على أمنها بمجرد القوة وسلطة القانون فحسب، ولو انطفأ النور ساعة لرأيت الشرر يتساقط في الظلمات، وكل وازع لا يقوم على أساس الخوف من الله وطاعته فمآله الضياع.

فلا أمان بلا إيمان، ولن يستقيم أمن بلدة لا تخاف الله -عز وجل-، ولا تقيم شرعه، ولا تحقق العدل، ولا تمنع الظلم، حتى إن قدر لك أن تعصب رأسك لسماع هذه الإحصائية لما كفاك ذاك؛ أن تسمع إحصائية قُدمت من نشرة النائب العام عن جرائم السرقة في الولايات المتحدة، فقد قدمت النشرة أرقامها المخيفة عن أحجام السرقات فحسب، وقد تقدمت بأنه في كل دقيقة واحدة تتم فيها ثلاث جرائم سطو على المنازل، أي: بمعدل أكثر من مليون ونصف المليون سرقة منزلية في السنة الواحدة.

وأيضًا ذكرت الإحصائية أنه في كل دقيقة واحدة تتم فيها جريمة سطو على السيارات، أي: بمعدل مليون ونصف المليون في السنة الواحدة أيضًا.

وأيضًا ذُكر في ذات النشرة أن جرائم السرقة في الولايات المتحدة فقط تتم في كل دقيقتين، وتخلص النشرة إلى أن مجموع هذه الجرائم أكثر من ثلاث ملايين سرقة وجريمة.

ولقد أشار تقرير التنمية الإنسانية لأمريكا الوسطى الذي أصدره برنامج الأمم المتحدة للتنمية إلى أن أمريكا الوسطى هي أعلى مدينة في العالم من حيث نسبة جرائم القتل فيها، حتى قُدر أن معدل القتل هو 33 شخصًا من كل مائة ألف شخص، وخلال الست أعوام الماضية بلغ عدد ضحايا الاغتيالات فيها 79 ألف شخص في السنة الواحدة مما أدى إلى تهديد رهيب للمنطقة.

**اللهم شكرانك لا كفرانك، لك الحمد في الأولى .. لك الحمد في الأ****خرى.**

والله -عز وجل- يقول في وعد قاطع لا مرية فيه: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).

فأقيموا الإيمان يقم لكم الأمان.

**المقوم الثاني:** الزم جماعة المسلم وغرزهم، فإن يد الله -عز وجل- مع الجماعة، ومن شق عصا المسلمين شق الله أمره، وبات خائفًا وجلاً، واستشرفته الفتن.

ولما أخبر رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم- عن زمن الفتن وكثرة دعاة جهنم سأله حذيفة -رضي الله عنه- عما يفعل إن أدركه ذلك، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم"، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

حتى قرر كثير من أهل العلم على أن الجماعة لو اجتمعت على رأي مرجوح فيسع من يخالف رأيها ألا يعارضها، وإن رأى قوله راجحًا؛ لأن معنى الاجتماع وتحقيق الوحدة والتماسك ووحدة الصف أهم من ترك مسألة راجحة.

إذا ذهب الأمان استوحشت القلوب، وانتشرت أخلاق الحيوان في الطرقات، ولما دخل التتار بغداد قُتل أكثر من مليون ونصف في شهر واحد بحسب قول بعض المؤرخين،

**وها هنا نصيحة للشعوب المؤمنة الرضية الآمنة** من فم رسول الهدى -عليه الصلاة والسلام-: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا".

 فيا إخوتي الكرام! **"بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ .. حفظكم الله منها، ونجانا وإياكم من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن.**

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنينا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا..